



تمثّلات المرأة في الرواية الجزائرية المعاصرة
-المرأة المطلقة في رواية أشجار القيامة لبشير مفتي-

Women's Representations in Contemporary Algerian Novels
The divorcee woman between inferiority vision and the desire for
emancipation

خبيزي بشرة*

مخبر تحليل الخطاب، جامعة مولود معمري، تيزي وزو - الجزائر

khobizibouchra878@gmail.com

داودي سامية

جامعة مولود معمري، تيزي وزو - الجزائر hoo.fr samiadaoudi@ya

تاريخ النشر:

2024-06-30

تاريخ القبول:

2024-05-11

تاريخ الإرسال:

2022-12-06

ملخص: نهدف من خلال هذه الدراسة إلى تتبع الحضور النسوي والتمثّلات الثقافية والمخيال الاجتماعي لتيمة المرأة المطلقة في الرواية الجزائرية من خلال رواية أشجار القيامة لبشير مفتي التي تحمل نظرتين مختلفتين للمطلقة (ذكورية/أنثوية)، فقد شكّل موضوع المرأة مجالاً خصباً أثرت الرواية الجزائرية المعاصرة التي تعدّ أقرب الأجناس الأدبية من الواقع، وأكثرها استيعاباً لمختلف قضايا الوقت الراهن والأقدر على احتواء هموم المرأة من مشاعر وأحلام وانشغالات وحتى المحظورات.

كلمات مفتاحية: تمثّلات؛ المرأة؛ المطلقة؛ الرواية الجزائرية.

Abstract: This research paper aims to unveil divorcee women representations in contemporary Algerian novel. Various and different texts have been carefully selected and analyzed for that purpose. Besides, the term 'representation' was intentionally chosen mainly because of its reduction characteristic. Moreover, the paper tackles the

* المؤلف المرسل

way Algerian intellectuals envision and represent female characters in which the focus was on divorcee women.

Key words: representations; woman; divorcee woman; novel.

مقدمة: لم تدخّر الرواية الجزائرية العربية جهداً في معالجة قضايا المرأة من النشأة في النصف الأول من القرن العشرين، ومناقشة كلّ الطابوهات المتعلقة بالمرأة دون حرج، فكتب عبد الحميد بن هدوقة "ريح الجنوب" في 1970 حول مشاكل الريف كالبؤس والحرمان ووضع المرأة، وظهرت روايات أخرى في العقود المتعاقبة لرشيد بوجدره وواسيني الأعرج ومحمد العالي عرار وأمين الزاوي وبشير مفتي، وظفت الذات الأنثوية بروية تتجاوز منظومة القيم المتوارثة، وسعت إلى دحض الفكر الأحادي الضيق، وتمردت على الخطابات الجامدة المؤطرة، فأست لفضاءات إبداعية رحبة تسائل وتناقش وتعري وتستنطق المسكوت عنه والممنوع والمعتم والمغيّب في الثقافة والتاريخ والواقع والمجتمع.

ومن هذا المنطلق جاء بحثنا لينظر في الحضور النسوي وتمثّلاته وينبش في النسق الأنثوي المضمّر في الرواية الجزائرية العربية المعاصرة، وقد حاولنا الإجابة عن سؤال جوهرى: كيف تمّ تمثيل المرأة المطلقة في الرواية الجزائرية المعاصرة؟ وهل أعادت الرواية إنتاج الصورة النمطية للمرأة المطلقة-المقهورة المضطهدة المقموعة؟ وما مدى اعتماد الصورة على خلفية الكاتب ووعيه وثقافته والبيئة التي خرج منها؟ وتفرع عن هذا السؤال أسئلة عدّة أهمها: - ما معنى التمثّلات؟- ما هي الأساليب التي اعتمدها الكاتب لرسم صورة المطلقة؟ وما هي المرجعيات الثقافية المهيمنة؟

اقتضى موضوع البحث اعتماد طروحات النقد الثقافي والنقد النسوي الذين انفتحا على جملة من الحقول المعرفية كالأنثروبولوجيا والفلسفة والثقافة والسياسة والتاريخ وعلم النفس والتفكيكية والسيميولوجيا ومناهج النقد الأدبي، وتعاملا مع الخطاب الأدبي على أنّه بنية لغوية جمالية وظاهرة ثقافية في آن، ومنه قدّما (النقد الثقافي والنقد النسوي)



استراتيجية قرائية جديدة تهتم بكشف المضمرة وتعرية المخبوء في النص الإبداعي. فقد سعى النقد الثقافي لدراسة الأنساق المضمرة التي تسكن قاع النص ورصد الأبعاد الأيديولوجية، ونفض الغبار عن المهمّش وزحزحته إلى المركز، فيما اهتم النقد النسوي بكشف حيل الكاتب الرجل وإبراز تحيّزه ضدّ المرأة ورصد وعي المرأة وتتبع تاريخها الأدبي وعطائها الإبداعي.

1- حول مفهوم "تمثّلات": استطاعت الدّراسات النّقدية النّقافية أن تكشف عن الأنساق التي تعمل المؤسسة النّقافية من خلالها على تكريس العلاقات الاجتماعية وكيفية إنتاج النّقافة وتوزيعها، وقد لامس النقد الثقافي جملة من الأنساق في الخطاب الأدبي، فانتقل من نقد النص إلى نقد المؤسسة، وبذلك يكون قد تجاوز فكر النّسق الأحادي والمركز إلى الانفتاح على التعدّدية والمهمّش، وهو تأكيد للنّشطي الذي تدافع عنه التّفكيكية¹. وقد أشار كلود ريشلر C.Reichler، في سياق حديثه عن النّقد المنفتح على الأسئلة الشاملة للكون إلى أنّ: "ما ينقص الدراسات الأدبية اليوم، لن نجده ببساطة في الفيلولوجيا، وإنما في مجال ابستمولوجيا التمثّلات Réprésentations"².

والتمثّلات في أبسط تعريفاتها اللّغوية مأخوذة من فعل "تمثّل"، ويقصد بها تصوير الشيء وتشخيصه، في ذهن المتلقي سواء بالكلام أو بالكتابة³. فالتمثّل إذن هو استحضار صورة موضوع إلى الدّهن. أما التمثّلات في المجال الأدبي، فهي تعني باستحضار شخصيات أو بنيات فكرية (اجتماعية سياسية، اقتصادية، ثقافية) من الذاكرة العامّة للمجتمع إلى ذهن المتلقي، وتكون هذه التمثّلات رمزية أو مضمرة غير ظاهرة، وتحيلنا على دلالات معيّنة نكتشفها من خلال قراءتنا لهذا الخطاب التّخييلي والغوص في بواطنه⁴.

2- الطلاق هذا الحلال المبعّض: يعدّ الطلاق ظاهرة اجتماعية منتشرة في كل المجتمعات عربية أو غيرها، "والطلاق هو انفصال رابطة الزواج عن طريق ترتيبات

نظامية يضعها المجتمع في الغالب استنادا إلى أسس دينية سائدة ويعتبر الإسلام الطلاق أبغض الحلال عند الله، لأنه يتسبب في تفكك الأسرة، مما يترتب على ذلك من مشكلات تلقي بظلالها على الأسرة والمجتمع"⁵.

وهو جائز في الإسلام لما ورد من أدلة في القرآن الكريم، وفي السنّة النبوية، إلا أنّه مبغض ومكروه (إنّ أبغض الحلال إلى الله الطّلاق) وذلك رغبة في استدامة الحياة الزوجية، وتحقيق سلامة الأسرة من التفكك، وكراهة الفرقة بين الزوجين، وصيانة البيت، وحفظ الأبناء من الضياع وتقليل فرص تشتيت الأسر.

ليس الطلاق أمرا سيئا في كل الحالات فعندما تستحيل العشرة وتحوّل الحياة إلى جحيم ويصبح البقاء معا غير ممكن يبيح الشرع والقانون الطلاق ووضع الضوابط التي تضمن الحقوق لكل منهما. ومن الأسباب التي تؤدي إلى الانفصال نذكر الخيانة، الأمور المالية، العنف الأسري، المرض، عدم إنجاب أو إنجاب الإناث، تقاسم المسؤوليات بين الزوجين، انعدام الانسجام.

3- تمثّلات المطلقة في رواية "أشجار القيامة": أصبح طلاق المرأة من بين القضايا الرئيسيّة التي تناقش على الصعيد الديني والاجتماعي والثقافي، والرواية بدورها أسهمت في معالجة هذا الموضوع من خلال تمثيل نماذج للمطلقة وتجسيد خيالاتها وانكساراتها ونظرة المجتمع لها، باعتبارها المذنب الأول والأخير في انفصال الزوجين، وقد خصص الكاتب بشير مفتي مساحة لا بأس بها في منته الروائي الموسوم ب: أشجار القيامة، للمرأة المطلقة من خلال شخصية كريمة.

والملفت للنظر في هذا النص الإبداعي، أنّ بشير مفتي قد تناول طلاق المرأة من خلال منظورين مختلفين؛ الأول من منظور المجتمع الذكوري للمرأة المطلقة، أما المنظور الثاني، فهو منظور أنثوي بحث، حاول من خلاله الخوض في تجربة الطلاق ومكونات الذات الأنثوية بعدما سلّمها عرش الحكيم وسرد أحداث الطلاق، فتحكي



كريمة عن طلاقها مرتين من رجلين مختلفين، وتفصل في أسبابه ومخلفاته النفسية والاجتماعية.

سنقوم بتحليل النظرتين كل على حدى، حتى نستطيع معرفة الفرق بين نظرة الرجل للمطّقة، ونظرة المطّقة لنفسها.

3-1- المطلقة ودونية النظرة: يتحدث السارد عن طلاق كريمة التي كانت تمثّل له الأخت وصديقة الطفولة، فيذكر سبب طلاقها وهو عدم قدرتها على الإنجاب، يقول: "عاشوا لسنتين تقريبا في سعادة حقيقية-أي كريمة وزوجها-ولكن مشكلة الإنجاب طرحت نفسها بقوة، فطلبت الطلاق منه فكان لها ما أرادت، وعادت للدراسة من جديد، وبإرادة من حديد، كنت أسمع أنها تنتقل بعلامات جيدة من مرحلة لأخرى، وتعمل دائما في مركز الخياطة"⁶.

يبدو واضحا أنّ العقم وعدم إنجاب الأولاد سبب من أسباب طلاق المرأة، في حين أنّ الرجل يتمسك بحقّه في الأبوة كأشدّ ما يكون التمسك. لتجعل السلّطة الذكورية المرأة المذنبة الوحيدة في عدم اكتمال سعادة الزوج التي تتوقف على تكوين أسرة وإنجاب أطفال، فالعقم يحول دون إثبات الرجل لوجوده واستمرار نوعه، فتصبح المرأة هي المسؤولة ولا تستطيع الدفاع على نفسها "في ظل مجتمع تحكمه السلّطة الذكورية، التي لا تتسامح مع المرأة، وتعدّها ناقصة الأنوثة، بقدر ما تتسامح مع الرجل في هاته المسألة"⁷.

بادرت كريمة بطلب الانفصال لاقتناعها أنّ العقم لدى المرأة أمر لا يغتفر وأنّ الزواج دون الإنجاب أمر لا يحتمل، فكان الطلاق هو الحل الأمثل لكلا الطرفين، فزوج كريمة بدأ يبحث عن عروس جديدة تشبع غريزته وتضمن استمرارية اسمه وتحقّق رغبته في أن يصير أبا وهذا ما يعطي للرجل "سلّطة ثانية بعد هذا الحكم الجائر، وهو الطلاق

أو تعدد الزوجات، فتصبح المرأة في كلتا الحالتين مقهورة ومضطهدة لا تعيش بحرية، بل تواجه مصيرا لا تعرف نهايته"⁸.

عادت كريمة المطلقة إلى حياتها السابقة قصد ترميم ما يمكن ترميمه، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، فتوجّهت نحو الدّراسة بتصميم كبير وإرادة وعزيمة، كي تشغل ذهنها بعمل إيجابي يغمرها بإحساس الرضا عن النّفس وينسيها لقب المطلقة، ومنه تستطيع تجاوز فكرة طلاقها بإعادة بناء ذاتها خارج مؤسسة الرّواج.

أرادت كريمة خوض تجربة الرّواج مرّة أخرى، بعدما تقدّم لها شخص جديد، طمعا في حياة هنيئة، لكنّها لم توفق في اختيارها، حيث عرف زواجها بإسماعيل صديق السّارد النّهاية نفسها والفشل نفسه " اختفيا لمدة طويلة، فلم نعد نسمع عنهما أي خبر، حتى عرفنا أنّهما في الصحراء، يعيشان مع بعض، لم يدم ذلك الهناء طويلا، فسرعان ما عادت كريمة إلى الحي مطلقا من إسماعيل، فلم نعرف السبب هذه المرة. كانت صدمة كبيرة لها"⁹.

إنّ المجتمع الذي لا يرى طلاق المرأة بعين حسنة ويحمّلها سوء التفاهم بصفة كاملة فكيف سيتعامل معها عند طلاقها الثّاني؟ ستتأكّد إدانتها وتلتصق بها تهمة الفشل، ويصف السّارد هنا حالة الإحباط الشّديد التي ساورتها بعد الطلاق، ومعاناتها العميقة وحرزنها وألمها.

تعاطف السّارد مع كريمة للمرّة الثّانية بعد طلاقها، وتضامن معها حتى من دون معرفة سبب الطلاق، فقد أحسّ بأنّها ضحية الرجل وضحية المجتمع وضحيته هو كذلك، خاصة وأنّه لعب دورا في مأساة طلاقها الثّاني، حيث شجّعها على الرّواج من صديقه إسماعيل اعتقادا منه أنّها ستتخطى مرارة طلاقها الأوّل وستعرف حياة زوجية أخرى تملأها السعادة والاطمئنان والسلام.



يتعرض السارد للضغوطات النفسية التي تقع على كريمة التي طلقت مرتين فنضاعت الآثار مرتين، تقول كريمة: "لماذا حياتي تعيسة هكذا؟ لماذا أنا غير محظوظة؟ ماذا فعلت يا إلهي حتى يقع لي ما يقع، مرتين وفي زمن قصير يا اللعنة، يا للخيبة"¹⁰.

نرى أنّ المجتمع قد ربط سعادة المرأة بمؤسسة الزواج، فإن هي تزوجت واحتفظت بمركزها الاجتماعي-الزوجة والأم-وقفت وسعدت بتأدية مهامها في الوسط الأسري، وإن فشلت في تكوين الأسرة وطلقت، ستعرف حياتها تحولا تعيسا إذ تصبح منبوذة، وغير صالحة، وكلّ هذا من شأنه التقليل من قيمة المرأة والحط من مكانتها.

تأثر السارد لحال كريمة ولاحظ انكسارها وخيبتها، في بيئة تحكمها مجموعة من القواعد التي تسيّر حياتها وتضبط حركتها؛ فقد شكّلت المرأة في العقلية الذكورية المهيمنة، الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه ومواجهة مجتمعه، إلا بالانطواء تحت رحمة الآخر الذي ينظر إلى المرأة على أنها شيء من أشيائه الخاصة، وهو ما "أسهم في عبودية المرأة الجسدية أو الاقتصادية والأسرية وبالتالي زجها على الهامش المعتم بحكم هيمنة قيم ومعتقدات وأفكار وسلطات متحيزة، تتعامل مع المرأة جسدا ومتعة"¹¹.

لم يوجّه السارد اللوم لكريمة، ولم يحملها مسؤولية فشل زواجها من إسماعيل، وقد اعتبرها ضحية الظروف، في حين حمل زوجها كامل المسؤولية، يقول: "شعرت بتأنيب الضمير معها، خاصة أنها تزوجت من إسماعيل بسببي، الوغد أصبحت أكرهه على فعلته تلك، كان يمكنه أن يكون أنبل من هذا الذي قام به بكل وقاحة"¹². وجّه السارد أصابع الاتهام إلى صديقه إسماعيل المخطئ والجاني، وأصبح يمقته بسبب تطليقه لكريمة.

تشير الإحصائيات المسجّلة بخصوص الطلاق إلى أنّ خمسة وتسعون في المائة من حالات الطلاق سببها الرّئيس هو الطرف الأوّل: الرجل، "إلا أنّ المجتمع مستعد بكامل طاقاته وقوته وعاداته وتقاليده التي هي بعيدة كل البعد عن الدين، أن يتقهم مشكلة الرجل وبراحة ضمير منقطة النظر، سيقدم له الدعم النفسي والاجتماعي حتى أنه يرفض إطلاق لفظ الرجل المطلق عليه، ويكتفون بأنّه رجل، والرجل لا يعيبه سوى جيبه".¹³ في حين أنّ المطلقة هي المذنبه والآثمة أمام الأسرة والمجتمع والعدالة وبنات جلدتها اللاتي ينظرن إليها بعين الشفقة والرحمة.

وعليه، نقول إنّ بشير مفتي تناول قضية الطلاق من خلال نظرة قريبة من نظرة المجتمع في شقّها المتعلّق باعتبار المرأة ضحية وضعيفة، وحتى ولو لم يلق على عاتقها مسؤولية الطلاق كما يفعل المجتمع، ولكنه شدّ على ضعفها، وعدم قدرتها على اتخاذ القرار؛ فقد قدّمها في صورة مخلوق ضعيف قاصر يجدر به العيش تحت حماية الرجل، بدليل تشجيع السارد لكريمة على الزواج من إسماعيل على الرّغم من إدراكه أنّها عاشت قصّة زواج مؤلمة انتهت بانفصال، فلا يريد رؤيتها دون رجل تتقاسم معه الأيام بمرّها وحلوها.

المشكلة إذن في المرأة، فهي المسيئة في نظر المجتمع الذي ينصب نفسه قاضيا له أحكام ثابتة: "أنت مطلقة، إذا أنت سيئة"¹⁴، سيئة لأنك طلقت وسيئة لأنك لم تحافظي على زوجك، ولم تتحملي ولم تصبري ولم تصمتي.

3-2- المطلقة ورغبة الانعقاد: تطرق بشير مفتي للمرأة المطلقة من منظور أنثوي، فيعرض موقف المرأة من الطلاق من زاويتها الخاصة، وذلك من خلال شخصية كريمة التي تمسك بزمام السرد وتتحدث عن ذاتها، وعن سبب طلاقها، وشعورها وهي مطلقة، فيقوم المتن السردّي هنا على "إشراك الذات الساردة في فعل العرض باعتبارها فاعلة



في الحكي من جهة وفي الأحداث من جهة أخرى إنها الذات المنتجة لفعل القصد وفاعليته¹⁵.

تناولت الرواية في شقّها الأول، كما أسلفنا، نظرة الرجل/ السارد لشخصية كريمة المطلقة، وتعاطفه معها، ثم أخذت كريمة الكلمة في جزء مهمّ من الرواية لتحكي تجاربها وتصف أحاسيسها فلم يمارس السارد التسلّط على المرأة بل جعل لها مساحة لتعبّر عن أفكارها ومشاعرها ورؤاها، بخصوص قضية الطلاق من زاوية أنثوية بحتة، فنظرة الأنثى تختلف كلياً عن نظرة الرجل، "فالنساء لا ينظرن إلى الأشياء كما ينظر إليها الرجال، وتختلف أفكارهن ومشاعرهن من إزاء ما هو مهم وغير مهم"¹⁶.

أخبرنا السارد في البدء أنّ طلاق كريمة الأول كان بسبب عقمها، وتفند كريمة الفكرة ذاتها، وتكشف عن حيلة قامت بها في سبيل الطلاق، وهي أنّها كانت تتناول حبوب منع الحمل، حين عرفت أنّ العقم سيؤدي حتماً بها إلى الطلاق، تقول كريمة: "بعد سنتين من عدم الإنجاب، أخبرته بالكذبة التي كنت طبختها في رأسي لعدة ليالي "أنا عاقر، لا أنجب" تنفس الصعداء، وقال لي فرحاً ومزهاواً: الحمد لله، إذن المشكلة فيك وليس في، قلت له وأنا أرثيه بعيني: اطمئن المشكلة في... قال لي: كما تريد يا كريمة، لو ترغيبين في البقاء معي فلن أمنعك، ولكن سأمارس حقّي في الزواج من ثانية، وإن أردت الطلاق فسأكون متفهماً لرغبتك أيضاً"¹⁷.

ابتغت كريمة الطلاق وسعت لتحقيقه بادعاء العقم، ولم يحزن زوجها لكونها عاقراً ومحرومة من الأمومة، وإنما حمد الله على أنّ مشكلة عدم الانجاب فيها وليس فيه. وعليه فإنّ "البنية الذكورية المتحكمة في نظام القيمة السائد في المجتمع تبرز كل خصائصها الإيجابية عن طريق اعتبار المرأة بوعي ودون وعي، المستودع الطبيعي لنقائصها السلبية، وهذا شكل من أشكال التشويه التي تستبيح حقوق الآخر من خلال

استباحتها لصورتها... بحيث يصبح انتهاك الآخر وتشويهه، وبالتالي حرمانه من حقوقه هو شرط تحقيق الأنا وبلورتها لهويتها الجنسية"¹⁸.

يتأكد زوجها بأنّه كامل الصفات وقادر على الإنجاب، ويخيّر كريمة بين البقاء معه، ولكنه سيمارس حقّه الشرعي في الحصول على زوجة ثانية، وبين الطلاق منه. فنلاحظ هنا أنّ الزوج غير مكترث لحال زوجته وغير مبال بمعاناتها وما يهيمه هو إيجاد حل ناجع ينقذ به نفسه من مشكل عقم زوجته ف "الرجل يفرض سلطته الكاملة ويبرهن من جديد على فحولته، بجعل هذا الكائن الرقيق منكسرا من جديد، وتحت قيد سطوته"¹⁹.

وأبانت خطة كريمة للحصول على الطلاق عن هاجس الرّجل ومبتغاه، فلم تحزن لطلاقها ولم تشغل بالها بالمجتمع الذي سيضعها في خانة المغضوب عليهم، خانة المذنبين الذين لا يصلحون لشيء، تقول: "كانت فرحتي عارمة بالطلاق، والخروج من أسر سجن لم يكن على مقاسي، كان أول من زرتّه بعد شهر فقط من الحادثة هو طبعاً، واضطرت أن أمثّل دور سيئة الحظ، دور المرأة المطلقة التي ذنبها الوحيد أنها لا تنجب، ومصيرها هو الطرد من حرمة البيت"²⁰.

ومن خلال تصريح كريمة بفرحها بالطلاق، تمّ تقويض صورة المطلقة المسكينة والمغلوب على أمرها، فالمرأة إنما أرادت شيئاً فيمكنها الحصول عليه، إما بذكائها أو دهائها أو حيلتها، وكأنّ هذا النموذج يعيد إلى أذهاننا ما قيل حول المرأة للعبوب والداهية "إنّ لكيدهن عظيم"، فقد كان بإمكانها طلب التخليق، ولكنها لا تستطيع ذكر سبب طلاقها (ألا وهو حبها لشخص آخر والذي هو السارد نفسه)، ووجدت أنّ ادعاء العقم أقصر طريق تسلكه في سبيل الحصول على طلاقها دون الدخول في متاهات الخيانة والحرام وما شابههما.



العقم هو سبيل حرّيتها وانعتاقها، فقد ضحت بلقب الرّوجة وتحملت لقب العاقر مقابل الطلاق، لأنّها تدرّك تماما أنّ المجتمع يتواطأ مع الرّوج وكذلك القانون، فكلاهما يرى أنّ المرأة السبب الأوّل والأخير في حدوث الطلاق، فبطلاقها استطاع الرّجل أن يفرض سلطته ويبرهن على فحولته، لتبدو كريمة في صورة مطابقة للمخيال الذكوري الكائن الرقيق المنكسر.

استطاعت كريمة تفويض صورة المرأة المطلّقة المحطّمة، وفرضت نفسها من جديد حيث واصلت حياتها وأنهت دراستها ولم تتأثر بوضعها الاجتماعي "مطلّقة"، لأنّ الطلاق بالنسبة لها يعادل الحرّية، فقد صرحت بأنّها تحرّرت من قيود سجن لم يكن على مقاسها، وتخلصت من أشكال الاستلاب والاضطهاد، كانت "لا تحيا لنفسها ولا بنفسها، إنّما للزوج وبالزوج... وهي تنظر بعينيه وتسمع بأذنيه، وتحيا بإرادته وحدها، في مجتمع جاهلي متخلف يخيم عليه ظلام عبودية المرأة، وقد مارس وأد المرأة معنويا، كما مارس الأجداد وأد المرأة جسديا"²¹.

فهي في الأصل لم تتزوج إلا لتنتقم من حبّ طفولتها، وتثير غيرته، لكنّها لم تحرك فيه قيد أنملة، وتحول البيت الرّوجي إلى سجن ينعدم فيه التوافق والتآلف والتناغم، ويفتقد للمودّة والحنان والأمان.

تيقنت كريمة بعد طلاقها ومحاولة تقرّيبها من حبّ طفولتها الذي سكن كيائها، وأصبح التخلص منه شبه مستحيل أنّه لا يفكر في الارتباط بها ويعاملها كأخت غير محظوظة ولم توفق في زواجها، فقد كانت كلّ تصرفاته تتم عن عطفه وإشفاقه على حالها، فلم تحتل كريمة الأمر، وعزمت مجددا على نسيانه ووافقت على الرّواج من صديقه، أملا في تحريك أحاسيسه، أو محاولة نسيانه.

تزوجت كريمة من صديق السارد إسماعيل، وبعد ثلاثة أشهر من زواجهما رحلا إلى الصحراء، ومع مرور الوقت أصبحت كريمة تحسّ بالاختناق والضيق، فقلبها مازال

معقفاً بحبّها للسارد، فقّرت الطلاق تقول: "كنت مضطرة لاستعمال نفس الأدوات السيئة مع إسماعيل، حريصة على تعذيبه مثلما كنت أعذب نفسي، بدأت أستنفر زادي في الفتنة، وأحسسه بأنني لن أشعر به أبداً، وجد نفسه محاصراً، وغريباً في البيت وحتى في الفراش... ودون أن أبالي به، كنت قد بدأت العد التنازلي لعلاقتي به، وكنت أريد إنهاؤها بسرعة"²².

يشير الرّاي مرة أخرى إلى مكر النّساء ودهانهن، وكيف استعملتهما كريمة للتخلّص من زوجها، والدفع به نحو تطليقها، فلمّا تأكّدت أنّها لن تستطيع العيش من دون الرّجل الذي أحبّته في صغرها، وأنّ إسماعيل يقف حاجزاً بينهما، لجأت إلى الخداع والحيلة وذلك عن طريق "تجريد الرجل من امتداده الرجولي، معلنة أنّها ترفض وجوده الفعلي الحيوي، وتجاهد في سلب كيانه الإنساني، فأصبح سلوكها هذا كأنه عقاب متوعد منها على ما اقترفه من قبل، حين كان يتعامل معها باعتبارها جسداً مستهلكاً فقط- فهو كان على علم بطلاقها وعمقها المفبرك- ولم يتعامل معها باعتبارها ذاتاً مستقلة، كيانا إنسانياً له حقوقه"²³.

بدأت تستنفر زاداها في الفتنة، فإذا كان زوجها الأوّل قد طلقها بسبب كذبة أنّها عاقر، فإنّ الرّوج الثّاني إسماعيل قد تزوجها مع علمه أنّها عاقر، فما كان منها إلا أن تغيّر خطتها وتعمل على تنغيص حياته وهو في المقابل لن يحتمل ذلك، تقول كريمة: "لم يتردد طويلاً في القول: "أنت طالق"، كلمة كان لها رنين خاص في أذني وربما جرس موسيقي عذب، ولم أكن لأفتخر بها طبعاً، لقد كانت تلك هي المرة الأخيرة التي قررت أن أسمع فيها مثل هذه العبارة المحررة والمؤذية"²⁴.

أصبحت كلمة الطلاق عند كريمة جرساً موسيقياً عذباً رناناً، فهو جرس الحرّية والانعتاق من سجن آخر وضعت نفسها فيه بعدما أطلقت سراحها من الأوّل، ولم تكن



لتفتخر بأنّها قد أصبحت مطلقة للمرّة الثانية، فالمجتمع وإنّ رحمها في المرّة الأولى، لن يرحمها في المرّة الثانية.

إنّ المجتمع الذي تهيم عليه السّلطة الذكورية، لا يرى المرأة إلا من منظار ضيق الأفق، فيزدريها في أكثر المواطن، ولا يبيح لها ما يبيحه للرجل، حيث " يحق له التطبيق ولا يحق لها الطلاق، يحق عليه تكرار الزواج ويشين عليها ذلك، لأنّه انتقاص لها، يحق له الخيانة ولا يبيحها لها، يحق له أن يكون عقيماً ولا يحق لها، لأنّه عيب فيها ولا يراه عيباً فيه، كل هذه الأمور هي عادات اجتماعية وسلطة ذكورية قسرية صنعها مجتمع يحتكم إلى سلوك متناحر، يجعل من المرأة مشكلة في حين أنّها جزء من الكيان العام للمجتمع"²⁵.

وعليه، ومن خلال تحليلنا لنموذج المطلقة من منظور ذكوري وأنثوي منفصلين، نرى أنّ أسباب الطلاق في حالة كريمة غير مألوفة أو بالأحرى غير مصرّح بها، وقد تحمّلت شخصية كريمة مسؤولية الطلاق مرتين، وصرحت بأنّها حاولت العيش في كنف الزوج، إلا أنّها في كل مرّة كانت تجد حججاً جديدة، تؤدي بها إلى الطلاق قصد التخلّص من ارتباطات لم تكن على مقاسها.

وبهذا الفعل تمّ تقويض صورة المطلقة المسكينة لتصبح المطلقة المسؤولة لها كامل الحرية في التصرف بحياتها كيفما تشاء، ضاربة عرض الحائط نظرة المجتمع الذكوري لها، الشفقة والعطف تارة وتحميلها ذنب الانفصال تارة أخرى، لكن السؤال المطروح هنا: هل فعلاً ينتشر هذا النموذج للمرأة المطلقة في مجتمعنا؟ هل تتزوج المرأة مرتين طلباً في نسيان الرجل الذي تحبّه ولا يبادلها الحبّ؟ وهل تطلق مرتين بادعاءات وأكاذيب واستفزازات؟ لم أعاد الكاتب إنتاج الصورة النمطية وذكر أنّ المرأة مخادعة ومحتالة وماكرة في مواضع عدّة من الرواية، وقد وظّف صورة جديدة للمرأة المطلقة بعيدة عن تلك التي امتلأت بها بعض النصوص الروائية العربية "المقهورة" و"الخاضعة"

و"المجموعة"؟" أيمن أن نفسّر الأمر بارتداد الجديد والمختلف والمغاير وغير المؤلف؟
أهي مشاكسة ومعاكسة أم هي تجارب واردة ومحتملة؟

4- الخاتمة: مثّلت قضية الطلاق سؤالاً مهماً في الأعمال الروائية الجزائرية المعاصرة، من بينها مدوّنة بحثنا التي تعرضت للموضوع بطريقة تستدعي الوقوف والدراسة لأسباب عدّة أولها وأهمّها هو التّركيز على المرأة التي تبادر بطلب الطلاق بعد فشل نيل مبتغاها في نسيان حبّها حيناً، والمرأة التي تصرّ على الطلاق بعد مرور شهرين فقط من زواجها حيناً آخر. ويمكن أن نلخّص جملة النتائج المتوصل إليها فيما يلي:

-تناول الكاتب بشير مفتي قضية الطلاق من جانب المرأة، وركّز على فكرة رغبة المرأة في الانفصال عن الزّوج في ظروف غامضة غير مفهومة تماماً حتى بدا الطلاق كالزّواج محطّة في حياة المرأة، نزوة عابرة، رغبة، ومضة؛ كريمة في رواية "أشجار القيامة" تقدم على الزّواج لتطوي ذكرى حبّها الأوّل وتغسل مرّتين.

-نقطة أخرى غاية في الأهمية حين تناول بشير مفتي الطلاق لم يؤكّد الفكرة التي مفادها أنّ الرجل، والمرأة لم يخلقا إلا ليتصارعا والعلاقة بين الجنسين تتطوي على تعارض جذري، هو التعارض بين الرجل والمرأة، بين الأنا المتحكمة والآخر المغاير المقموع، وإذا كان تشويه الآخر هو من سمات بنية التّفكير الأبوي القائمة على تعارض ثنائي طرفاه الرجل والمرأة، فإنّ عملية التّصحيح لا تعني قلب طرفي المعادلة...، فالتّصحيح يقتضي بالضرورة أساساً جديداً ينظر إلى المرأة باعتبارها الآخر المماثل لا الآخر النقيض.

-فشخصية المرأة المطلقة وتمظهراتها تطبعها الأنانية وحبّ الذات في رواية "أشجار القيامة"؛ تتزوج كريمة وتتطلق لمرّتين بسبب عدم تحقّق هدفها من الزّواج وهو نسيان الرجل الذي أحبّته ولم يبادلها الحبّ، فتبدو غير مسؤولة وغير مهتمة بغيرها وغير مكترثة لما يقال، تتدعي العقم لتتخلص من زوجها الأوّل، وتتعمد الإهانة لزوجها الثّاني



الذي قبل بها على الرّغم من عقمها حتى تحصل على الطلاق. والإنجاب هو الصفة الأساس التي تفاضل بها المرأة على غيرها من النساء ثم نوعية هذا الإنجاب فالمطلوب من المرأة إنجاب الذكور.

-أبرزت الرواية نموذجاً آخر للمرأة المطلقة يكمن في المرأة التي ترغب في الطلاق وتتاله وتسد به لكن السؤال المطروح في كيفية الحصول عليه بالنسبة لكرامة التي لا يهتمها في الزواج سوى نسيان حبها للشارد لتكرّر التجربة مرّتين، وبالنسبة لسعاد التي تنزوّج وتتطّلق في مدّة قياسية، ليتلاشى معهما مفهوم الزواج كرباط مبني على الحب والعشق والرغبة والاشتهاء والتفاعل الحميمي، ومكشروع بناء أسرة يراعي طموحات الزوجين وأفاقهما.

5-قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد طيباوي. موت ناعم. الجزائر: منشورات الاختلاف، 2014.
- المعجم العربي الأساسي لاروس. بيروت: المنظمة العربية للتربية والثقافة، 1991.
- إنعام بيوض. السمك لا يبالي. الجزائر: منشورات الاختلاف، 2004.
- باسم محمد حسن. متى يغير المجتمع نظرتّه تجاه المطلقات ؟ 2017. <http://www.aljazeera.net>
- بايزيد فاطمة الزهراء. "الكتابة النسوية العربية بين سلطة المرجع و حرية المتخيل". الجزائر، 2011 - 2012.
- بثينة شعبان. مئة عام من الرواية النسائية العربية. بيروت: دار الآداب، 1999.
- بشير مفتي. أشجار القيامة. الجزائر: منشورات الاختلاف، 2005.
- بوجمعة بوشوشة. الرواية النسائية: سردية التجريب و حدثا السردية في الرواية العربية الجزائرية. الطبعة 1. تونس: المغاربية للطباعة و النشر، 2005.

- خالد محمد الدوس. الطلاق ظاهرة اجتماعية معقدة تحتاج مزيدا من الدراسات البحثية. بلا تاريخ. <http://www.al-jazirah.com>.
- خديجة حامي. مواجهة الأنساق في روايات فضيلة الفاروق. تيزي وزو: منشورات مخبر تحليل الخطاب - جامعة مولود معمري، 2016.
- رامان سلدن. النظرية الأدبية المعاصرة. ترجمة جابر عصفور. القاهرة: دار قباء للنشر والتوزيع، 1989.
- زكريا ابراهيم. سيكولوجية المرأة. دار مصر للطباعة، بلا تاريخ.
- سارة ضاهر. نظرة المجتمع عندما تحاصر المرأة العربية المطلقة. 2013. <http://www.alhayat.com>.
- سالم بن لباد. الشعر الشعبي الجزائري: تمثّلات فكرية لشخصيات صنعت التاريخ. الطبعة 1. الجزائر: كنوز الحكمة للنشر و التوزيع، 2015.
- سيد قطب. في أدب المرأة. الطبعة 1. الشركة المصرية العالمية للنشر، 2000.
- سيمون دي بوفوار. الجنس الآخر. ترجمة مجموعة من أساتذة الجامعة. دمشق: دار أسامة للنشر، 1997.
- شوبنهاور نقلا عن زهور كرام. السرد النسائي العربي: مقارنة في المفهوم و الخطاب. الطبعة 1. الدار البيضاء: شركة النشر و التوزيع المدارس، 2004.
- صالح مفقودة. المرأة في الرواية الجزائرية. الطبعة 1. الجزائر: دار الهدى، 2008.
- عبد النور إدريس. التمثّلات الثقافية للجسد الأنثوي: الرواية النسائية نموذجا. الطبعة 1. المغرب: منشورات دفاتر الاختلاف، 2015.
- كريمة ناوي. "أدب المرأة من الرواية إلى السينما." الجزائر، 2009 - 2010.



6-الهوامش والإحالات:

- 1- ينظر: عبد النور إدريس، التمثلات الثقافية للجسد الأنثوي: الرواية النسائية أنموذجا، مكناس، منشورات دفاتر الاختلاف، ط1، المغرب، 2015، ص20.
- 2- المرجع نفسه ص46.
- 3- ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة، المعجم العربي الأساسي لاروس، بيروت، 1991، ص117.
- 4 - ينظر: سالم بن لباد، الشعر الشعبي الجزائري: تمثلات فكرية لشخصيات صنعت التاريخ، الأبيار، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2015، ص09.
- 5- خالد محمد الدوس، (2014)، الطلاق ظاهرة اجتماعية معقدة تحتاج مزيدا من الدراسات البحثية، جريدة الجزيرة، ع14259، <https://www.Al-jazirah.com>
- 6- بشير مفتي، أشجار القيامة، الجزائر، منشورات الاختلاف، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 2005، ص44.
- 7- بوجمعة بوشوشة، الرواية النسائية الجزائرية: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، تونس، المغاربية للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص89.
- 8- بايزيد فاطمة الزهراء، الكتابة النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، 2011-2012، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنة، الجزائر، رسالة دكتوراه، ص257.
- 9- الرواية، ص 45.
- 10- الرواية، ص 45.
- 11- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، الجزائر، دار الهدى، ط1، 2008، ص26.
- 12- الرواية، ص45.
- 13- باسم محمد حسن، (2017) متى يغير المجتمع نظرته تجاه المطلقات؟، <https://www.aljazeera.net>.

- 14- سارة ضاهر، (2013)، نظرة المجتمع عندما تحاصر المرأة العربية المطلقة،
<https://www.Alhayat.com>.
- 15- رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص190.
- 16- رمان سلدن، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، ص195.
- 17- الرواية، ص 123.
- 18- سيد محمد السيد قطب وآخرون، في أدب المرأة، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، دط، 2000 ص121.
- 19- بايزيد فاطمة الزهراء، الكتابة النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، ص164.
- 20- الرواية، ص124.
- 21- صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية، ص27.
- 22- الرواية، ص167.
- 23- سيد محمد السيد قطب وآخرون، في أدب المرأة، ص122.
- 24 - الرواية، ص168.
- 25 - بايزيد، فاطمة الزهراء، الكتابة النسوية العربية بين سلطة المرجع وحرية المتخيل، ص233.